الأستاذ : د/ عبد السلام صحراوي.

المقياس: مدخل إلى الآداب العالمية.

السنة الثانية ليسانس .

الشعبة : دراسات أدبية . المجموعة 02.

المحاضرة رقم 01.

في معنـــــى الأدب العالمي..

- تعريف الأدب العالمي .
- معنى ومدلول الأدب العالمي عند " يوهان فولفغانغ فون غوته"..
- فكرة الأدب العالمي في جوهرها الأول فكرة إنسانية بريئة .
- الوسيلة الأولى في تحقيق العالمية في الأدب هي الترجمة..
- تجلّي العالمية..
- الطموح إلى العالمية فكرة قديمة..
- التمييز بين العالمية والعولمة.

1- تعريف الأدب العالمي:

الأدب العالمي هو الأعمال الأدبية المتميّزة التي استطاعت أن ترتقيَ إلى مستوى العالمية وأنْ يكون لها تأثيرٌ على مستوى بلدان العالم كلّه.. وي التي استطاعتْ بذلك أن تجتاز الحدود الطنية والقومية إلى مجالٍ أوسع وأرحب هو مجال كوني عالمي Universel - أيْ عام وشامل وكوني ..وهي من كلمة Univers بمعنى الكون والعالم Mondiale .. وتعني كلّ الكرة الأرضية وسكانها. وغالبًا ما تكون تلك الأعمال الأدبية مترجمة إلى كثير من لغات العالم ، ممّا يحقق لها الانتشار الواسع في اللغات والثقافات المختلفة ، وتكون لها شهرة كبيرة .. كما تحظى بالتقدير والقبول نتيجة كونها تختزن خصائص فنية وجمالية فريدة . وهي في الغالب تعبّر بطريقة أدبية وفنية عن الإنسان وقضاياه الأساسية، تلك القضايا الإنسانية التي تتجاوز الزمان والمكان ولا تحدّها حدود؛ فهي قضايا الإنسان في كلّ

زمان ومكان وعلى اختلاف أعراقه وبيئاته وثقافته وعقيدته ، إنّها قضايا مشتركة عامة وشاملة وأساسية وجوهرية . وتتمثّل تلك الأعمال الأدبية في ما كتبه كبار الأدباء والشعراء من أثار أدبية ظلّت على مدى الأزمنة المختلفة مؤثرة في القراء و المهتمّين ومحافظة على قيمتها الأدبية والجمالية ، مثل أعمال وليم شكسبير ن ودانتي أليغيري ، وتولستوي،وغوركي ، وإرنست هيمنقواي، وميكائيل دي سيرفانتس،وفيكتور هيجو ، وغابرييل غارسيا ماركيز ، وغوته ،وجبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، وغيرهم من كبار الكتّاب والشعراء منذ العصور القديمة إلى اليوم..

2- معنى ومدلول الأدب العالمي عند " غوته":

ويبدو هذا المدلول للأدب العالمي ، غير بعيد عمّا أراده الشاعر الألماني " غوته" من معنى للأدب العالمي ، وهو الذي يعتبر أوّل من استخدم مصطلح " الأدب العالمي " وكان يقصد به الأعمال الشعرية تحديدا والأدب بشكل عام؛ تلك الأعمال الشعرية – الأدبية التي ترتقي من حيث الموضوعات والقيم الجمالية والفنية إلى مستوى الإنسانية ، وتعالج قضايا الإنسان الجوهرية من حرية وكرامة وصراع قوى الخير مع قوى الشر ، والحب والموت والظلم والاستبداد والعبودية والعدالة ...وما إلى ذلك.

غير أنّ مثل هذا الأدب العالمي يظلّ محافظًا على بعده القومي والوطني والمحلّي ، فلا تعارض بين العالمية والقومية والمحلية.. و" غوته" نفسه، كان يحلم ويعتقد بأنّ آداب الشعوب والأمم سوف تلتقي ذات يوم في هذا الأدب العالمي، دون أن تتخلّى عن خصائصها المحلية أو القومية أو الوطنية، و دون أن تذوب أو تتلاشى... فهو لقاء حضاري إنساني الأبعاد و المرامي تلقائي الوجود و التفاعل و التلاقح و التأثير و التأثر الإيجابي و المتكامل ... و مثل هذا المعنى الذي أراده "غوته" للأدب العالمي هو قريب جدا من معنى مصطلح الأدب المقارن كما رأينا سابقا .

و ليس غريبا على "غوته" فهو الذي كان ذا أفق إنساني منفتح على الكون و العالم، و على الثقافات واللغات الشرقية والغربية على حد سواء..فقد حاول كما تذكر بعض المراجع تعلم اللغة العربية ليتمكن من قراءة القرآن بلغته التي نزل بها وقد تمكّن من ذلك بالفعل..كما أُعجبَ بكتاب ألف ليلة وليلة؛ هذا الكتاب المؤثر الذي تُرجم إلى لغات عديدة.إضافةً إلى أنّ " غوته" كان معجبًا بالشاعر الفارسي " حافظ الشيرازي " ، وقد كتب ديوانه " الديوان الشرقي للمؤلف الغربي" متأثرًا بحافظ الشيرازي. وتذكر بعض الكتابات أنّ " غوته" قد كتب عن النبي محمد صلّى الله عليه وسلّم ، وعبّر صراحة عن إعجابه به..ولهذا كلّه فقد مثّل "غوته" رؤية إنسانية منفتحة على العالم والثقافات واللغات والعقائد . وكانت رؤيته منسجمة ومتكاملة مع مفهوم الأدب العالمي..

3- فكرة "الأدب العالمي " في جوهرها الأول فكرة إنسانية بريئة:

ومن هنا ندرك تمامًا أنّ فكرة " الأدب العالمي"في جوهرها ومنطلقاتها الأولى كانت فكرة إنسانية بريئة لا تشوبها شائبة .. وكانت تعكس طموحًا بريئًا بعيدًا كلّ البعد عن الأغراض السياسية ومحو هويات الشعوب والأمم والهويات الوطنية والخصوصيات المحلية..

4- الوسيلة الأولى لتحقيق العالمية في الأدب هي" الترجمة"

ولا يخفى على أحد أنّ الوسيلة الناجحة لتحقيق العالمية هي " الترجمة" في المقام الأول .. على الرغم ممّا يقال عن الترجمة وما يتّخذ إزاءها من تحفظ خاصة في ترجمة الشعر ...غير أنّه في المحصّلة ، يبدو أن÷ لابد من الترجمة . ولذا نجد أنّ الأعمال الكبيرة لأدباء من مختلف اللغات والثقافات والأعراق قد كُتب لها البقاء والانتشار في العالم قاطبة بفضل الترجمة أساسًا. كما تضطلع بالدعوة إلى العالمية ، المؤسسات الثقافية والجمعيات والروابط والعلاقات الأدبية والثقافية وكذلك الجامعات والصحف والمجلات والكتب ومختلف المنشورات والتظاهرات والمؤتمرات العلمية والثقافية..وهو ما ينهض بالدعوة إلى العالمية والتقريب بين الثقافات والحضارات والتعريف بها ونشر المعرفة وثقافة الإخاء والمحبة بين شعوب العالم ونبذ الصراعات والحروب وإهانة الإنسان و الدوس على كرامته .. ومن جهة أخرى، ترقية الذوق الفني والجمالي الذي هو مؤشّر حقيقي للرقي الحضاري لدى الشعوب والأمم.. قاطبة.

5- الطموح إلى العالمية فكرة

كما لا يخفى علينا أنّ الطموح إلى العالمية فكرة قديمة عرفتها البشرية في الأديان وفي الثقافات : قد بشّر السيد المسيح عليه السلام بالعالمية إذ تتلخص دعوته بالقول المعروف : المجد لله في الأعالي و على الأرض السلام وفي الناس المحبة." فالأرض هنا هي الكرة الأرضية كلّها، و لفظ " الناس" يشمل الشعوب قاطبة- كافة .. لقد حاولت المسيحية أن تكون دينا عالميا وهي تحاول إلى اليوم أن تكون كذلك.

و أما فكرة العالمية في الدين الإسلامي، فإنّ الإسلام كان ولا يزال دينا عالميا، دين السلام والمودة والرحمة بين الناس وهو عقيدة وشريعة وعبادة ونظام للحياة البشرية ومنهج وصراط مستقيم، فرسالة الإسلام ليست خاصة بشعب من الشعوب ولا بأمة دون غيرها من الأمم مصداقا لقوله تعالى: (وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين) (الأنبياء: 107)، فالقرآن الكريم رسالة إلى كلّ الناس في كل بقاع الدنيا وفي كل زمان .. يقول عز وجل: (قل يا أيها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلاّ هو يحيي ويميت فآمنوا بالله و رسوله النبي الأمّي الذي يؤمن بالله و كلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) (الأعراف 158)

و يقول جل جلاله : (يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، إنّ الله عليم خبير) (الحجرات 13)

و هذه هي العالمية " الإسلامية" التي تحقق الأمن والسعادة للأفراد والشعوب وتقوم على المشاركة والمحبة والعمل الصالح بعيدا عن البغض والعنصرية و الغطرسة.

وقد تحقّق هذا الطموح إلى العالمية من خلال كثير من الأعمال الأدبية وتوجّهات الأدباء والشعراء من أمثال أبي العلاء المعرّيالذي يقول:

ولو أنّي حُبِّيْتُ الخلدَ فردًا *** لَمَا أحبَبْتُ بالخُلدِ انْفِرادَا

فَلَا هَطَلَتْ عليَّ ولا بأرضِي *** سحائبٌ ليس تنتظمُ البلادا.

6- تجلّي العالمية في الأدب:

ويمكن أن نذكر هنا اتجاهين رئيسيين حاولا تحقيق العالمية، وعكست أعمال الأدباء من خلالهما هذا الطموح العالمي والإنساني وهما المذهب الرومانسي أو الرومانسية وخاصة في الشعر والقصة . وممن يمثّل هذا الاتجاه "

اللورن بايرن " و" تشيلي" و" كيتس " و" ووردزورت" وفيكتور هيجو " وغيرهم من كلّ أصقاع الدنيا.. وهم الذين ارتقوا بشعرهم وأحاسيسهم إلى العالمية على منوال جبران خليل جبران في العربية.. وأمّا الاتجاه الثاني فيتمثّل في مذهب الواقعية الإشتراكية، وكان ذلك خاصة من خلال روادها الأوائل مثل " تولستوي" و" مكسيم غوركي" و"تشيخوف" و" طاغور" و "ويتمان " ...وغيرهم ممّن حاول في أدبه أن يرتقي إلى خطاب إنساني عالمي يرتقي هو الآخر بقيم الإنسانية والدفاع عن العدالة والمساواة والحرية وكرامة الإنسان..وهؤلاء كانوا في الغالب يجمعون بين الواقعية في التصوير والحلم في تغيير حياة الناس إلى ما هو أفضل وأكثر سعادة.

ويمكن القول إنَّ مظاهر تجلّي وتحقّق هذا الطموح الإنساني والعالمي في الأدب والفن، وخاصة في الشعر والقصة والرواية قد اختلفتْ مظاهره وتجلياته عبر كثير من الأعمال الأدبية قديمة وحديثة لا يتّسع المجال هنا للحديث عنها والتفصيل فيها .. ويكفي مثلًا أن نشير إلى الشاعر الأمريكي "وولتْ ويتمان" والشاعر التركي " ناظم حكمتْ " والشاعر التشيلي " بابلو نيرودا" و الروائي الكولمبي" غابرييل غارسيا ماركيز" و" جبران خليل جبران" في أعماله العربية والإنجليزية ,غلى جانبه صديقه وزميله في الرابطة القلمية " ميخائيل نعيمة"، وأبي العلاء المعري في رسالة الغفران وفي أشعاره .. ومع ذلك ، فإنّنا نلاحظ أنّ الأدب العربي لم يحظَ بالاهتمام الذي يستحقّه في العالم .. والأسباب كثيرة لعلّ اقواها يعود إلى ضعف الأمة العربية وقوة الغرب ، والقوي لا يهتمّ بالضعيف إلّا من أجل المصلحة الخاصة..ومع ذلك يمكن أن نذكر هنا أيضًا الشاعرين " أدونيس " و" محمود درويش"، والروائي " نجيب محفوظ" والمفكّر " إدوارد سعيد" ممن حقق قدرًا من الاهتمام والعالمية والانتشار..

7- التمييز بين العالمية والعولمة

ولا يفوتنا هنا التمييز بين العالمية و العولمة، فالعالمية اختيار ثقافي حر وهي إلى ذلك طموح إنساني وحلم جميل لكل الآداب و الثقافات و الحضارات، و الغاية منها التعارف و التواصل بين الشعوب والأمم مع الحفاظ على الهوية و الخصائص المحلية والوطنية والقومية ، وتقوم عادة على التبادل والتلاقح والمثاقفة والترجمة وليس في العالمية سيطرة للقوي على الضعيف ،وليس فيها تعال أو هيمنة أو غطرسة ومحو للهويات والخصوصيات التي تشكل الاختلاف و التنوع والتباين ...

في حين أنّ العولمة بالمفهوم الغربي يحمل في طياته مشروع تدمير التراث والتاريخ وثقافة الأطراف و الإبقاء على ثقافة المركز الرأسمالي باعتبارها الثقافة الوحيدة الصالحة للمجتمع العالمي المعاصر والمناسبة والمتناغمة مع الرأسمالية الليبرالية الغربية ، ومن هنا تأتي نوايا طمس ثقافة و تراث الشعوب والأمم ،ومحاولة فرض مسخ ممنهج و حقيقي للهويات الوطنية و الخصوصيات الثقافية.

ولذا فالتوجه نحو العولمة ليس شرا في حد ذاته ، وإنما في ما تحمله العولمة(الغربية) من شر...إنّ العولمة بالمفهوم الغربي قائمة على فرض ضوابط و آليات لتوجيه السياسة العالمية وهي تحاول إخضاع الحياة الاجتماعية لمختلف شعوب العالم للمنطق الفريد للرأسمالية... و تسويق النموذج الغربي في السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة..و ليس أدل على ذلك من أن الجدل الذي شهده مفهوم العولمة في الغرب قد قام أساسا على نظريتين مختلفتين في المنطلقات والتحليل متفقتين في المرامي والأهداف، إنّهما نظرية "نهاية التاريخ " لفرانسيس فوكوياما F. Fukuyama، ونظرية صدام الحضارات لصمويل هنتنقتون S.P. Huntington، أو ما يعرف بالغرب ضد الباقي: THE WEST AND THE REST وكلتاهما تخفي بعدا عنصريا وتؤكد بلا هوادة على محورية و مركزية النموذج الغربي واستعلائه على بقية العالم...